فرقة الفنون الشعبية الفلسطينية في لبنان

بدعوةٍ من مجلة الآداب، وبتنظيمٍ من لجنة شبابيّة ثقافيّة لبنانيّة، حضرتْ «فرقة الفنون الشعبيّة الفلسطينيّة» إلى لبنان، وقدمتْ خمس حفلات (في الرقص والغناء) في بيروت والصرفند وبرج البراجنة وعين الحلوة ونهر البارد. فيما يلي كلمة رئيس تحرير الآداب في حفل قصر الأونسكو (بيروت)، تليها انطباعاتٌ خطّها عمر البرغوثي (مدرِّب فرقة الفنون) من وحي الرحلة اللبنانية.

فلسطين وهوية لبنان الجديدة

أيها الحفل الكريم

أهلاً وسهلاً بكم في بيروت،

بيروت التي تقف هذه الأمسيةَ لتعانق فلسطين.

أيتها الأخوات، أيها الإخوة،

باسم مجلة الآداب، وباسم اللجنة المنظِّمة لاحتفالات «فرقة الفنون الشعبيّة الفلسطينيّة» في بيروت، أرحِّب بكم أجملَ ترحيب.

حين قرَّرنا أن ندعوَ «فرقةَ الفنون» إلى لبنان كانت تحدونا خمسةُ عوامل أُوجزها بالآتي:

١ ـ المستوى الراقي لهذه الفرقة. وهذا المستوى لم يتحقَّقْ لها إلا بعد نضالٍ طويلٍ يناهز واحداً وعشرين عاماً، تعرَّض أفرادُ الفرقة خلالها لشتَّى أنواع الاعتقال والسجن والضرب والتعذيبِ والضغطِ النفسيّ والماليّ. لكنّهم لم ينكسروا، بل واصلوا عملهم. وكان تفانيهم يَدْفعهم إلى تدريب فوجٍ وراء آخر من البراعم الفلسطينيّة، التي راحت تلتقط المِشْعَل وتواصل دربَ الإبداع، حتى حازت هذه الفرقةُ إعجابَ عشراتِ الآلاف في فلسطين وأوروبا والولايات المتحدة والمكسيك والبرتغال

والأردنّ والعراق والجزائر وفرنسا، وباتت ـ بحقٍّ ـ مجدَ فلسطين وسفيرَتَها الفنيةَ الأولى إلى العالم ومختلف بلدان الشتات الفلسطينيّ.

٢ ـ السبب الثاني لدعوتنا «فرقةَ الفنون» الى لبنان هو تقديرُنا البالغُ للدور الذي تؤديه في تعزيز الهوية الفلسطينيّة في وجه محاولات «الأسرلة» وطمسِ التراث الفلسطينيّ ورموزه.

ولكنّكم ستلاحظون أنّ الهوية التي تُدافع عنها «فرقةُ الفنون» هي هويةٌ فنيّةٌ ثقافيّةٌ لا تنحصر بالتراث الفلسطينيّ وحدَه، بل تطول عمقَه العربيَّ (واللبنانيَّ على وجه الخصوص) وتنفتح أمام فنونٍ رقصيّةٍ تتجاوز الدبكة. وكأنّني بالفرقة تقول إنّ إنماء الهوية الفلسطينيّة في وجه الأسرلة لا يكون بالانغلاق القُطريِّ، بل بالانفتاح على الآفاق العربية والعالمية.

٣ ـ ودَعْونا «فرقة الفنون» أيضاً تحقيقاً لحلمٍ تملّكها منذ سنوات طوال: في أن تلتقي الشعبَ اللبنانيَّ الذي استضاف قسماً من الشعب الفلسطينيّ في أراضيه، وتحمّل وإيّاه الموتَ والعذابَ والدمارَ، وأبْدع إنجازاتٍ ثقافيّةً وفنيّةً أغْنَتِ الشخصيةَ العربيّةَ ـ ومن ضِمنها الشخصيّةُ الفلسطينيّةُ. وأردنا أيضاً أن نحقّق لهذه الفرقة حلماً عزيزاً في أن تستطيع، ولأوّلِ مرّةٍ في حياتها، أن تَشْكر ـ بالرقصة والإيماءةِ والانحناءةِ والقفزة ـ المقاومةَ الوطنيّةَ اللبنانيّةَ بمختلف تياراتها التي تقاتِلُ اليومَ شبهَ وحيدةٍ جنودَ الاحتلال الإسرائيليّ في الجنوب والبقاع الغربيّ. وأردنا من دعوتنا الفرقة أن نتيح لها أن تلتقي، ولأول مرّةٍ في حياتها أيضاً، جماهيرَ مخيّمات الصمود في لبنان، جماهيرَ عين الحلوة وبرج البراجنة ونهر البارد والبدّاوي والمية وميّة والرشيديّة وصبرا وشاتيلا ومار الياس وغيرِها من المخيمات التي تدفّقتْ خلال الأيام الثلاثة الماضية لتُقَبّلَ شاباتِ فلسطين وشُبّانَها ولتشمّ فيهم عطرَ البرتقالِ والزّيْتون.

٤ ـ وأردنا، رابعاً، من دعوتنا الفرقةَ الى لبنان أن نقدِّمَ لقطاعاتٍ كبيرةٍ من الشعب اللبنانيّ صورةً عن الشعب الفلسطينيّ مختلفةً عن تلك التي تروِّجها بعضُ وسائل الإعلام وبعضُ القيادات اللبنانيّة الموتورة. أردنا أن نقول إنّ الفلسطينيّ ـ عامّةً ـ ليس قاتلاً، أو مفجِّراً، أو إرهابيّاً، أو «متجاوزاً». وأردنا أن نقول إنّ الفلسطينيَّ في لبنان جزءٌ من نهضةٍ فنيّةٍ وحضاريّةٍ عربيّةٍ راقيةٍ ومبدعة، وإنّ فلسطينيي الشتات اللبناني أكّدوا لنا بالآلاف أنّهم يَرْفضون التوطينَ ويَرْفضون التجنيسَ ولا يَقْبلون إلاّ بعودتِهم كلِّهم ـ فرداً فرداً ـ لكي يشاركوا فرقةَ الفنون وغيرَها مهمةَ بناءِ مجتمعٍ حرٍّ وديموقراطيٍّ على امتداد الوطن الفلسطينيّ.

٥ ـ وأردنا، خامساً وأخيراً، من دعوتنا الفرقةَ إلى لبنان أن نكون، نحن في مجلة الآداب وفي اللجنة المنظِّمة، جزءاً من ورشةٍ ثقافيّةٍ وشبابيّةٍ صاعدة تُسهِم في إعادة تعريف الهويّة اللبنانيّة، بوصفها هويةً عربيّةً منفتحةً تَشْجب الانغلاقَ الطائفيَّ والمذهبيَّ. ولا إخالُكُمْ نسيتُم، أيُّها الحفلُ الكبير، أنّ مجد لبنان السابق إنّما هو مجدٌ ثقافيٌّ عربيٌّ صَنَعه مثقفون عربٌ ومجموعاتٌ ثقافيّةٌ عربيّة على امتداد القرن الماضي، في بيروتَ ولبنانَ عامّةً. إنّ لبنان، بهذا المعنى، هو البُوتقةُ التي صَهَرتِ الإبداعَ العربيَّ الحرَّ والمعارضَ والهاربَ من قمع السلطات والمحرّماتِ العربيّة. وإنّه سيكون من العَبَثِ أن نتصوّرَ هويةً لبنانيّةً جديدةً، غيرَ طائفيّةٍ وغيرَ مذهبيّةٍ وغيرَ رجعيّةٍ، لا يكون للفلسطينيّ المبدع فيها دورٌ عظيم. إنّ الهويةَ الجديدةَ أو المواطنيةَ اللبنانيّة الجديدة التي نتوق إلى الإسهام في بنائها لا يمكن إلاّ أن تضع في القلبَ منها أعْمالَ كلٍّ من: غسان كنفاني، وكمال ناصر، وغالب هلسا، ومحمود درويش، وإدوارد سعيد، وأحمد دحبور، وليانا بدر، ويحيى يخلف، ومعين بسيسو، ورشاد أبو شاور، وأنيس صايغ، وبيان نويهض الحوت، وروز ماري صايغ، ويوسف صايغ، ومي المصري، والعشرات الآخرين، ودعُوني الآن أُضِفْ مِدْماكاً جديداً إلى هويّتنا الثقافيّةَ اللبنانيّة العتيدة واسمُهُ: فرقةُ الفنون الشعبيّة الفلسطينيّة!.

أيُّها الحفل الكريم،

إنّ دعوتنا هذه لَهيَ جزءٌ من مشروعٍ ثقافيٍّ عامٍّ يُسهم في زيادة وعينا وتمتينِ الجسور الإبداعيّة العربيّة على طريق بناءِ عولمةٍ إنسانيّةٍ مضادّةٍ. ونأمل أن تَشْهد نشاطاتُنا القادمة دعوةَ مبدعين وفنانين من العراق ومصر والمغرب وأوروبا وأميركا اللاتينيّة وأميركا الشماليّة، يعينوننا على تشكيل وعينا الجديد دون أن يُنْسونا الجذورَ التي انطلقنا منها. وقديماً قال غاندي: «إنّني لا أريد بَيْتاً مسوَّراً، بل أريدُه بيتاً مفتوحاً تَهُبُّ عليه الرياحُ دون أن تَقْلَعَني إحداها من الأرض». وقال ابنُ عربيّ: «إنّ غرامي بالبُرُوقِ لا بالأماكنِ والتُّرَبْ»!

(...)

فإلى العضلات الفتيّة، وإلى الأعصابِ الملتهبة، وإلى نُخْبةٍ رائعةٍ من نُخَبِ فلسطينَ الجديدة!.

سماح إدريس

بيروت في ٢٠٠٠/٥/٢